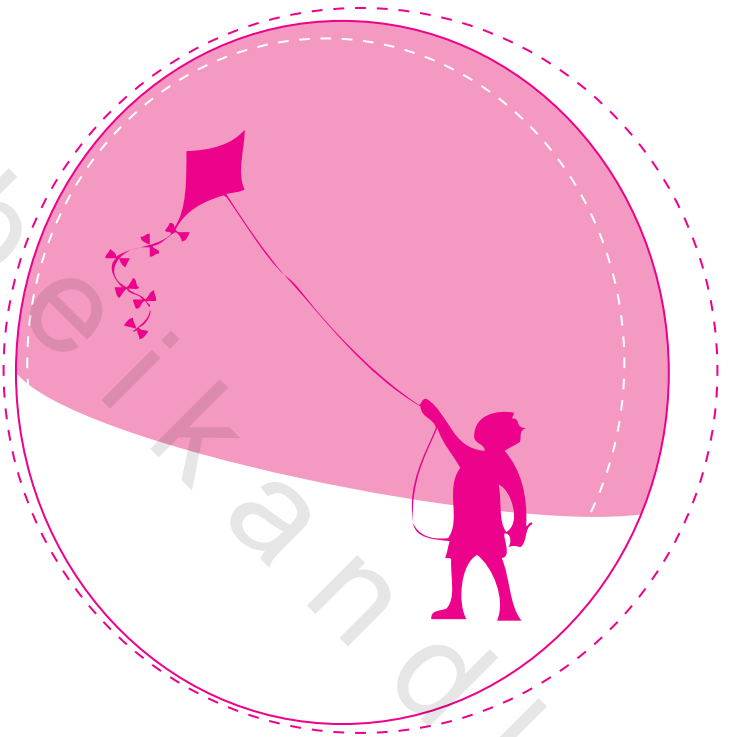

الفصل الرابع:
القدوة

obeikandl.com

القدوة كأسلوب أمثل لتوجيه السلوك

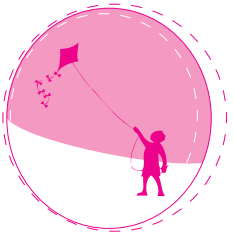

لأهمية القدوة فى توجيه السلوك و مكانتها فى الإسلام يتم عرضها بإسهاب. ترتبط القدوة بمبدأ التمثل، والتمثل هو أسلوب للتمكن من العالم الذى يحيط بنا بتقليد كلام الغير أو سلوكه.

ويبدأ الطفل الصغير عادة بالتمثل بوالديه، او ولى الأمر لارتباطه بهما عاطفيًّا، و كلما كبر زاد تعرفه على راشدين يخصونه. فيظهرون له أنماطًا من السلوك جديدة عليه، و يخصونه بالحب و الحنان فى آن واحد، فيقتدي بهم أو بالذين يشعر بأهميتهم، و تتسع دائرة معارف الطفل، فتتاح له فرص أكبر فى مراقبة و تقليد أشخاص عديدين يقابلهم فى حياته اليومية فيتمثل بهم أيضًا. و يدخل الطفل الروضة، و تصبح معلمته أحد هؤلاء الأشخاص المهمّين بالنسبة له. و كثيرًا لا تدرك هى و لا غيرها من الراشدين هذا الدور الحيوى الفعال الملقى على عاتقها، فتفاجأ بتقليد الأطفال لها كلامًا و سلوكًا، و أحيانًا كثيرة منطقًا و يستشهدون بأفعالها و أقوالها عن محبة و انتماء و ثقة. من هنا تنبع المسئولية و الخطورة فى دور القدوة، و أهمية وضوح رؤية المربية لها و التقيد بأصولها.

"و قد ظهرت أبحاث فى العقدين الأخيرين تثبت صحة و أهمية النظرية التربوية الإسلامية، التي تدعو للاهتمام بالقدوة كأسلوب تربوي. فقد كانت نظرية القدوة آنذاك تمثل جملة الأفكار المتماسكة التى ذكّاها الدين و العقل و الخبرة الإنسانية"[1]. أما الأبحاث الحديثة فأوضحت أن اقتباس السلوك الاجتماعي الايجابي أو السلبي، ينتج عن مؤثرات خارجية مرتبطة بعواطف الطفل وأحاسيسه و تساعد هذه المؤثرات على تنشئته، فتعطيه الأمثلة المطلوب منه الاقتداء بها. و فحوى هذه النظرية أن الطفل و هو يقلد سلوك البالغ أو كلامه، يتلقى تشجيعًا منه أو تعزيزًا يبدو له بشكل مكافأة معنوية، فالبالغ يبتسم للطفل، أو يربت على ذراعه تشجيعًا له، عندما يقلد السلوك المرغوب فيه و المرضى عنه، فيتكون سلوك الطفل حسب القدوة التى سيقتدي بها متعاونة كانت أو عنيفة، و تؤثر عليه فى صغره وكبره، ويعتبر هذا حلقة مفرغة إذا بدأت

(1) د. محمود قمبر، تربية ما قبل المدرسة في التراث العربي الإسلامي.

يصعب انتهاؤها. ويتمسك الطفل بالسلوك المطلوب، ويحافظ عليه عندما يتعلم أن هذا السلوك يؤدى إلى نجاحه،و يظهر قدراته و إذا أعجب الكبار وأثنوا عليه يكرره مرارًا حتى يصبح جزءًا منه، و قد كان ذكر علماء المسلمين لهذه النظرية واضحًا فى كثير من كتاباتهم وتوجيهاتهم، فمثلًا روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان دفع ولده إلى معلم، و قال له: " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بُنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم مَعقودة بعينيك، فالحُسن عِندَهم ما استحسنت و القبيح عندهم ما استقبحت".

و قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب – أية ٢١.

و قال السيد المسيح (عليه السلام): " إن الدين بما تعمل لا بما تعلم".

مفاهيم مرتبطه بالقدوة

* **أولاً:** ترتبط عملية تقليد السلوك و محاكاته، بالعاطفة التى يكنها المُقلّد لمن يقلده.

يفسر ذلك من أصول الإسلام، وعلم نمو الطفل معًا، فالطفل الذى يعامل برفق ورحمة يرتبط عاطفيًّا بمصدر الحنان عنده، و يتبعه كظله يقلده فى مشيته و سكونه و كلامه و سلوكه، قال الله تعالى يصف نبيه الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران – أيه ١٥٩)، وقال تعالى فى وصفه لمن اتبع دعوة المسيح ﷺ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ (سورة الحديد – أيه ٢٧) و هذا أسلوب تعامله مع الناس وهم بالغون، فما بالنا نحن الذين نتعامل مع الأطفال ؟ و قد روى مسلم أن معاوية بن الحكم السلمى، حدث يومًا فقال " بينما أنا أصلى مع رسول الله، صلى الله عليه و سلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرجمنى القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أماه ! ما شأنكم تنظرون إلى، فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى سكت، فلما صلى عليه الصلاة و السلام فبأبى هو و أمى ما رأيت مُعلمًا قبله و لا بعده أحسن تعليمًا منه فوالله ما نهرنى و لا ضربنى و لا شتمنى، إنما قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ".

لذلك كان رسول –صلى الله عليه و سلم –حبيبًا إلى قلب أمته، قريبًا منهم برحمته، معلمًا في كيفية إصلاح الخطأ، فكانوا يقتدون بأسلوبه، و بما يتضمنه حديثه من معان.

* **ثانيا:** أن يكون الفعل مطابقًا للقول، إن المعلمة القدوة تُعبر عما تُوقن به قولًا و عملًا، لتعمل حسب أقوالها ومبادئها و تعيش مبادئها، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قبل أن يأمر الناس بأمر و ينهاهم عن نهى، يجمع أهل بيته، و يقول لهم: " أما بعد، فإني سأدعو الناس إلى كذا و كذا، و أنهاهم عن كذا و كذا، و إني أقسم بالله العظيم لا يبلغنى عن أحدٍ منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلت به نكالًا شديدًا، ثم يخرج رضى الله عنه فيدعو الناس إلى ما يريد، فما يتأخر أحد عن السمع والطاعة " .

و بناءً على ما سبق يُمكننا تقدير مدى جدية و مسئولية دور القُدوة فى توجيه السلوك، لذا يتوجب على من تُوجه سلوك الغير مراقبة سلوكها أولًا، و الاعتراف بينها و بين نفسها على الأقل بعيوبها و ضعفها، و العمل على تحسين قدراتها، و ضبط سلوكها بنفسها، و تحاول أن تكون القدوة المثلى.

إن المعلمة القدوة تحتاج إلى التّمثل بخلق الرسول القدوة صلى الله عليه و سلم وصحبه الأبرار رضى الله عنهم، فتكون على خلق رفيع حقا، لأنها تتحمل مسئولية نشء تحاسب عليه فى الدنيا و الاخرة. قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (سورة الصف ايه ٢–٣)، و قد قال أيضًا جل جلاله: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة – أية ٤٤).

* **ثالثا:** يقتدى الطفل بالراشد المتمكّن من عالمه، القادر على تسيير أموره بنجاح، فالقدوة شرطها أن يكون المُقتدى به مثالًا للخلق الرفيع، و قادرًا على النجاح فيما يقوم به، هكذا كان موقف عمر رضي الله عنه عندما كان يبدأ بتطبيق كل ما يأمر الناس به على نفسه و أهل بيته، دقيقًا و شديدًا على نفسه، حتى لا يرى الرعية فيه إلا القائد القدوة، فكان رحيمًا على الضعفاء، جبارًا على الظالمين، كان عمر قادرًا على الوصول إلى غايته، فلم يكن يخاف إلا الله سبحانه و تعالى، فاستحق حب

الرعية و إعجابهم، و الطفل أيضًا يراقب معلمته، فيرى تمكّنها و قدراتها، ورحمتها فى أخلاقها فيقتنع بها و يتّبعها.

* **رابعًا:** إن ارتباط عملية التقليد بما يَتبعها من تشجيع فعال، يُعزز السلوك المرغوب، و يُشجع الطفل على إعادة السلوك الذى قام به إذا وُصف له بأنه سلوك إيجابى، فيعرف أنّ ما فعله قد حاز الرضا من معلمته، أو من يهمه من الراشدين حوله.

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "أخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم تُؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها، و لا تحتُّ (يقع) ورقها فوقع فى نفسى النخلة فكرهت أن أتكلّم، و ثَمّ أبو بكر و عمر لم يتكلما، قال النبي صلى الله عليه و سلم هي النخلة، فلما خرجت مع أبي قلت يا أبتاه وقع فى نفسي النخلة، قال: ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلى من كذا و كذا، قال: ما منعنى إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت، " هذه الحادثة توصلنا إلى عده حقائق: عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما تمثل بوالده و أبى بكر، فلم يجب على سؤال رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد كانا قدوة له. حين أعلم عبد الله والده بأنه كان يعرف الإجابة عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف أنّ والده القدوة، كان يفضل منه الإجابة عن السؤال مادام عالمًا به. وكان عبد الله بن عمر أحد رواة الحديث فى شبابه و رجولته، مما يَدلُّنا على أنه حاكى الرجال الأفذاذ الذين تعلم منهم السلوك و القول و الفعل، و قد شجع عمر بن الخطاب ولده على السلوك الأمثل و دفعه إليه.

الأبوان والمعلمة القدوة:

تحتاج كل أم و معلمة إلى تفهم معنى القدوة عمليًّا لِتُلم بكل ما يُخص الموضوع فالمعلمة القدوة تعرف نفسها جيدًا إنسانيًّا و مسلكيًّا و تعرف أيضًا مواقفها و اتجاهاتها وتختار عن قصد اتخاذ القرارات بما يتناسب و إحاطتها بدقة لكافة الأمور من حولها فتكون صادقة مع نفسها وغيرها من معلمات و رئيسات و مرءوسات و أطفال و تكون ذات خبرة واطلاع،تُحسن التعبير بدقة عما يَجول بخاطرها تقتنع بالمساواة و العدل وتعرف حدود علمها و معلوماتها وعملها و تلتزم بذلك كما تعترف بأخطائها و تعتذر عنها.

والمعلمة القدوة ثابتة فى اتجاهاتها و قيمها فيعرف أطفالها ما يتوقعون منها من يوم لآخر ويشعرون بالأمن و الطمأنينة ويثقون بها و القدوة كلام يرتبط بالسلوك و العمل و المظهر ويعتمد على القلب والفكر.. فالمعلمة التى تقتنع فى قرارة نفسها بالرفق على الحيوان ينعكس على أفعالها و إن لم تُفصح عنها فهى تضع للقطة طعامًا كافيًا و تحمل القطة برفق دون أذى و لا عنف و تُهيئ لها مكانًا مناسبًا للنوم. من كل هذا و ذاك يعرف الأطفال حقًّا أن معلمتهم لا تخاف من القطط و لا تكرهها فيقلد عدد كبير منهم أفعالها أو يُحاولون على الأقل

إن المعلمة القدوة تراعي شعور أطفالها و تحترم حاجاتهم فَتُعد لهم ما يُحبون و تبتعد عما يكرهون من أنشطة و خبرات وتقدم لهم بأسلوب مُشوِّق ما تُدرك فائدته من أنشطة مُعدّة حسب ميولهم و تراقب الأطفال بدقة و تميز حاجاتهم الآنية لحظة إحساسهم بها، فتحتضن من تشعر بحاجته للمحبة و تُغير مكان من تشعر بأن وجوده سيسبب مشكلة له أو لغيره، و هكذا يرى الأطفال معلمتهم أمامهم مثلًا حيًّا من الاهتمام بالانسان ومراعاة شعوره فَيُحَاكُونها و يَتَمثّلون بها فى تعاملهم مع بعضهم.

● تراعى المعلمة مبدأ القدوة مع أطفالها مظهرًا و عمقًا حسب النواحى التالية:

• **يقلد الأطفال المعلمة فى التعامل و التواصل مع الآخرين كبارًا و صغارًا مثلًا:**

– تعطى المعلمة لأطفالها وقتًا لتستمع إلى حديثهم.

– تطلب المعلمة بأسلوب مُهذّب و لطيف من أطفالها و زميلاتها و العاملات فى روضتها أو مديرتها و زائرتها مساعدتها فى إعداد أو تنفيذ نشاط ما.

• **يقلد الأطفال المعلمة فى التعامل مع الأشياء من حولهم، مثلًا:**

– تحافظ المعلمة على جهاز التسجيل فى صفها فتضع فوقه غطاءً بعد استعماله.

– تتناول المعلمة اللعبة من رف الألعاب بكل عناية و تضعها على طاولة ألعاب التركيب فتفك أجزاءها قطعة قطعة و تبدأ بتركيبها.

• **يقلد الأطفال المعلمة فى الملبس، مثلا:**

- ترتدى المعلمة ثيابًا عملية المظهر واسعة و بسيطة و سهلة الاعتناء بها فى الروضة.
- تضع المعلمة لباسًا فوق ثيابها عند استخدام الألوان، أو إعداد الطعام، أو أى نشاط يستلزم ذلك.

• **يقلد الأطفال المعلمة فى التّمكن من المهارات، مثلًا:**

- تتدرب المعلمة على إعداد معجون التشكيل (الصلصال) مسبقًا لتقوم بعمله أمام الأطفال بمهارة.
- تحكى المعلمة لأطفالها قصة من كتاب سبق أن قرأته أمامهم بأسلوب مُعبّر يشُدّ انتباهم.

• **يقلد الأطفال المعلمة فى أسلوب الحديث، مثلا:**

- تحدث المعلمة أطفالها بجدّية بصوت هادئ ثابت، واضح النبرات.
- تعطى المعلمة الأطفال الفرصة للتحدث معها فى الصف مُستخدمة أسلوب الحوار المفتوح و تفسح المجال لكل طفل ليتعلم الإنصات لغيره و انتظار دوره ليقول ما عنده.

• **يقلد الأطفال المعلمة فى التعبير الصامت، مثلًا:**

- توضح المعلمة بتعابيرها و حركات يديها و تحركها عن اهتمامها الحقيقى بكل طفل يتعلم في صفها، فتبتسم له و تدنو منه لتكون عند مستوى نظره، و تجلس بجانبه تربت على كتفه تشجيعًا له.

• **يقلد الأطفال المعلمة القدوة فى تطبيق القيم الدينية، مثلا:**

- تظهر المعلمة اهتمامًا واضحًا بالطفل الغائب، فتسأل عنه و تخبر بقية الأطفال بمرضه، و تقدم لهم اختيارات من أعمال يمكنهم القيام بها كمجموعة واحدة للسؤال عنه، والاطمئنان عليه، وتقديم هدايا من صنع أيديهم لاظهار مشاركتهم المعنوية له.
- تُعد المعلمة رُكنًا فى مكان بارز بالصف تعرض فيه انتاج الأطفال نتيجة أعمالهم الحرة، وإبداعهم فى الصناعات اليدوية. تعلق رسوم الأطفال على لوحة واسعة

obeikandl.com

مثبتة على حائط وتُدوِّن تحت كل رسم اسم الطفل على بطاقة واضحة، أو تعرض على طاولة نظيفة مغطاة بمفرش جميل ما قام الأطفال بصنعه بشكل لافت للنظر، وتسجل بجانب كل إنتاج اسم الطفل الذى قام به.

- المعلمة لا تكذب فى شيء حتى لا يتعلم الأولاد الكذب.
- المعلمة تهتم بتنظيف أسنانها حتى يهتم الأطفال بتنظيف أسنانهم.
- المعلمة لا تلقى بالأوراق أو المخلفات على الأرض حتّى لا يقلّدها أطفالها.
- المعلمة لا تتلفظ بالألفاظ النابية.
- المعلمة لا تطيل الحديث مع زميلاتها و تترك الأطفال حتى لا تقع المشاكل السلوكية بينهم.
- المعلمة تُسامح الطفل إذا أخطأ (بعد التحذير) حتى يتعلم الأولاد التسامح والعفو.

obeikandl.com